الفصل العاشر

الوضع بعد مجيء (الشبّان الأتراك)

الفصل العاشر

الوضع بعد مجيء (الشبّان الأتراك)

- اتفاق مؤقت بين رفقي ولارجو.
- أدوات السنوسيين.
- الوضع أثناء الغزو الإيطالي.
- ترتيب الأوضاع بين المستعمريْن الفرنسي والإيطالي.

الفصل العاشر

الوضع بعد مجيء (الشبّان الأتراك)

وكان مجيئ (جمعيّة الشبّان الأتراك) إلى الحكم عقب ثورة ٢٣ يوليو ١٩٠٨، هو الذي حرّك آنذاك العمل الهجومي التركي في تبستي، وبعد ذلك في بوركو، وأدّي إلى توتّر العلاقات مع فرنسا، والالتقاء بين الأتراك والسنوسيين، طوعا أو كرها، ضدّ فرنسا. وكانت طرابلس الغرب تعتبر منفى للمعارضين الأتراك قبل الثورة المذكورة. وكان الوالي رجب باشا عسكرياً عجوزاً أبعدته إسطامبول بأن وضعته على رأس الحكم في طرابلس الغرب. وأحاط به (المتحرّرون) - أي دعاة الليبراليّة- حيث عيُن متصرفاً لفزان أحد أساتذة مدينة بورصة، وهو البروفيسور جلال، والذي كان يحمل هو أيضا أفكارا حديثة. وحاول جلال تحسين الإدارة في الإقليم، ولكنه إصطدم بمعارضة كبار التجّار الموالين للسنوسيّة، والمعادين للإصلاح. ولذا سعى إلى مكافحة السنوسيّة، وفتح مدرسة تلقن تلاميذها دروسا معارضة لتعاليم الطريقة. * كاربو ص . ١٤٥. وما أن جاءوا إلى الحكم، حتى انتهج أعضاء جمعيّة "الشبان الأتراك" في فزان سياسة توسّعية ومعادية لفرنسا، طبّقوها آنذاك بإرسالهم مفارز صغيرة إلى تبستي وبعدها إلى بوركو. وبمقياس ما فإن هذه السياسة تترافق مع ما قام به السنوسيّون، نظرا إلى حسن التعاطف الذي جرّبه كلّ منهم تجاه الآخر.

وهكذا إتّسم الإهتمام التركي بالإقليم في العهد الجديد، بطابع العون العسكري للجماعات المقاومة للغزو الفرنسي.

أولا: في تبستي حيث أجمعت المصادر الفرنسية، المتمثلة في كتب الرحّالة والعسكريين، أن التواجد أو التسلّل التركي بدأ ما بين ١٩٠٧ ـ ١٩٠٨ بطلب من حاكم المنطقة المحلّي ويسمى ديردي خي**Derde Chai** وهو زعيم مستقل لسكان(تيدا تو) **Teda Tou** القاطنين في تبستي. ويبدو أنه استنجد بالأتراك خوفاً من زحف المسيحيين الفرنسيين فأرسلوا إليه من مرزق (قائمقام) يلقب بعثمان أفندي، الذي جاء إلى برداي مصحوباً بجنديّين وعلم تركي. و هناك رواية أخرى مناقضة تقول بأن القائد التابوي طلب عام ١٩١٠ من الجانب التركي المعسكر في مرزق، ومن الجانب الفرنسي المعسكر في بارداي، إرسال الحامية في لعبة مزدوجة. وفي يونيه ١٩١٠ تمركز الأتراك بـ ١٧ جندياً نظاميا ومعهم الطبيب العسكري عثمان زوبي الذي عيّن قائمقام لتبستي. وفي ١٩١١ تمّت تقوية الحامية في

برداي فبلغ عددها ٦٠ جندياً تحت قيادة عقيد، ومعهم ٦ مدافع. كما أنشئ معسكر تركي آخر في (يو) أو (خارده) جنوبي شرق (زوار) على طريق فايا. وبدا واضحاً أن الأتراك عن طريق هذين الموقعين، وبعد ثورة "الشبّان الأتراك"، كانوا ينوون الإقامة في المنطقة والدفاع عنها، لو لم تندلع الحرب الإيطالية التركية في أكتوبر ١٩١١ وتضع حداً للمشروع التركي في الصحراء بشكل نهائي.[١]

ثانيا: **في بوركو**، إذ يقول فيراندي " إن الاندفاع التركي عام ١٩١١، كان عبارة عن غزوة أوحت بها روح المغامرة لدى سامي بك حاكم مرزق والمنتمي للجمعيّة، ونتيجة للنداء الذي وجّهه مقدّم الزاوية السنوسية في قورو سيدي محمد السني الذي كان منزعجاً من عدم انضباط قبائل القرعان" وحسب قول (كاربو) فقد قامت مجموعة من المعتقلين السياسيّين الأتراك في فزان، بالهروب من مرزق نحو الجنوب، فما كان من متصرّف فزان آنذاك جلال بك، إلاّ أن أمر الحاكم المحلي التقليدي لكوار والملقب (ماي أدنيو)، بالقبض على الفارّين، كما كتب إلى قائد ثكنة أو دائرة بيلما بنفس المعنى. ويذكر (فراندي) من بين هؤلاء المعتقلين سامي بك أحد أعضاء تركيا الفتاة المنفيين من إسطامبول لأسباب سياسية. وقد وجد الكابتن (كولونا دي ليكا) **Colonna De Leca** -والذي كان في جولة شمال بيلما- المذكورين هائمين في الصحراء، يكاد العطش أن يقتلهم، فأعادهم إلى بيلما لأنه كان يعلم بالصداقة التي تجمعهم مع سامي بك، ولم يتم طبعاً تسليم هؤلاء الفارّين السياسيين، ولكنهم تمكنوا من مواصلة السير حتى نيجيريا، ومن هناك إستقلوا الباخرة متوجّهين إلى اسطامبول حيث اندلعت ثورة الشبّان الأتراك آنذاك. وحسب فيراندي عاد سامي بك عام **1910** كوال لفزان، وفي نفس الوقت رُقّي (ليكا) لرتبة قائد فرقة، ووجُهت إليه الدعوة من سامي بك، الذي ربطته به علاقة صداقة،لزيارة مرزق ومعه (فيراندي). وتعرّف خلال إقامته في طرابلس على الكابتن رفقي الذي كان يُتقن الفرنسية ويميل إلى فرنسا، وبعدها عاد الضّابطان الفرنسيّان إلى باريس .[٢]

وفي رواية أخرى ذكرها (فيراندي) سنة ١٩٣٠، أن دي ليكا المذكور كان يعتزم الذهاب إلى طرابلس مندوبا عن الحكومة الفرنسيّة، لكي يُقنع الوالي التركي بضرورة حماية طرق القوافل بين طرابلس وغات، ولكن رحلته ألغيت نظرا إلى معارضة حكومة الآستانة. وفي رأي نفس الكاتب (إعتماداً على الأرشيف السنوسي الذي استولى عليه) أن أوّل إتصال بين الأتراك والسنوسيين حول مشاكل (الهنتر لاند) جرى عام ١٩٠٨، إذ إطّلع على خطاب مرسل بتاريخ ٢٦ أبريل ١٩٠٨ من السيد أحمد الشريف إلى الشيخ محمد السني مقدم زاوية (قورو) ذكر فيه أن إثنين من الإخوان أوفدا من الكفرة إلى تركيا، في نفس السنة،

---

١ ينظر "تشاد وليبيا" الصفحات من ٣٦ ـ ٤٠ .

٢ نفس المرجع ص ٤١

رغبة في تأكيد سيادة الباب العالي. وجرى استقبالهما إستقبالا حسناً كأخوين، ولكن مسئولي الزوايا رفضوا أية تبعيّة للآستانة. وهناك روايات أخرى متضاربة تقول إحداها إن السيد أحمد الشريف هو الذي أرسل المبعوثين إلى الآستانة حاثّا إياها على إعلان السيادة على مناطق الهنتر لاند، خوفاً من التوسع الفرنسي هناك. وعلى العموم فإن هذه التحركات بدأت منذ ١٩٠٧ حين وصل محمد السني إلى (بوركو). وفي مايو من نفس السنة زار (فايا) و(عين جالاكا) وأعاد بناء الزاوية التي دمرها الملازم (بوردو) أثناء هجومه في مارس - أبريل. ثمّ أعطى السني قيادة الزاوية في بوركو لأهل المنطقة، كما أن مرسال الطويل خلف سيدي البرّاني كمقدّم في عين جالاكا. وبعد إستشهاد هذا عام ١٩٠٨ أثناء المعركة التي أعقبت هجوم الملازم **Cellier** قام عبد الله الطوير، ويصفه (كاربو) بأنه رجل "شديد البأس" و"مقاتل رهيب"، قام بدور كبير مع محمد السنّي كي يجعل الأتراك يأتون إلى تبستي و(بوركو) ويتمركزون وينصبون العلم العثماني دليلاً على السيادة على المنطقة. كما أن الكيلاني الأطيوش الذي كان قائمقام الكفرة هو الذي جاء مبعوثاً من السيد أحمد الشريف إلى بوركو لهذا الغرض. وبذلك فإن السنوسيّين كسروا حاجز العزلة التي كانت ديدنهم. كما أن العلاقة بين العرب والتبو شهدت تقارباً بدل التناحر بينهم، بفضل موقف عبد الله الطوير.[٣] والخلاصة: أن الملازم رفقي، مع سبعين جندياً من الألبان سيّئي التغذية وبرواتب زهيدة ومدفع ومائة وخمسين جملا، حطّوا في (بوركو) عام **1911** مباشرة، بعد رحيل المبعوثين الأتراك المشار إليهم سابقاً. وقد ذُكر أن عبد الله الطوير لم يكن مرتاحاً لرفقي بك قائد المفرزة واستقبله استقبالا سيئاً، بل ورفض في البداية السماح له بالتمركز في (عين جالاكا).

وبدا أن الأطراف المتصارعة على المسرح كانت تدفعها مقاصد ونوايا متباينة: فالأتراك رغم ضعف إمكانيّاتهم أرادوا من وراء العملية إظهار صورة لدولة ذات احترام وهيبة على الصعيد العالمي. وتبو (بوركو) الذين يشعرون بروح التضامن مع إخوتهم المسلمين، كانوا أيضاً ينشدون الحفاظ على مصالحهم والدفاع عنها ضد الجميع إذا ما أحسّوا بالمساس بها. والسنوسيون - الذين لا شك في تعاطفهم مع سكان المنطقة من التبو و مع الأتراك أيضاً- كانوا يسعون إلى تكتيل الجميع نحو هدف مشترك وهو التصدّي لخطر المسيحيّين (كما لقبهم المؤرّخ الفرنسي، ويقصد بهم جيش دولته). والفرنسيون : وكانت بغيتهم السيطرة على الأراضي التي ضمنها لهم اتفاق **1899** مع إنجلترا، ولكنهم في نفس الوقت كانوا حريصين على تفادي أية مضاعفات دولية .

---

٣ تتضارب روايات مختلفة بين المؤرخين الفرنسيين حول تاريخ عملية التمركز التركي ومن دعا إليها.

ويُعتقد أن محمد السني، باعتباره ممثلا للسنوسيين، كان يرمي من وراء استدعاء الأتراك أن يجعلهم يلعبون دوراً ثانوياً عن طريق تشجيع الغارات ضد المناطق الخاضعة للفرنسيين والتصدّي لهم في كل الجبهات، ولا سيما تدعيم مقاومة (داود مورّه) سلطان واداي. وفي رأي (فيراندي)" كان عبد الله الطوير الذراع الضارب" في (بوركو) والسنّي "الدماغ المفكر" في (قورو). وسرعان ما تكشّفت حقيقة الدور الذي كان يلعبه رفقي بك، فالأتراك، إعتقاداً منهم في تمثيلهم لدولة عضو في الأسرة الدولية التي وقعت على اتفاق برلين، أرادوا أن يظهروا بمظهر من له حقوق لا يمكن النزاع حولها. ولكن فقط بالوسائل التي تتفق والأساليب الدولية المتعارف عليها. وبعد أن وقع ما وقع، يمكن إعتبار أن رفقي بك وجد نفسه أمام (لارجو) مثلما وجد (مارشاند) نفسه أمام (كيتشنر) في حادثة (فاشوده).

ولا شك في أن وقتاً طويلاً كان سيستغرقه أي أمر سيأتيه من الآستانة. وانتظاراً لذلك أخذ يحافظ على العلاقات الودّية. وكان لهذا الموقف نتائج مثمرة، إذ رفض رفقي بك أن يلعب الدور الذي أراد السنوسيّون أن يمثله. وهكذا كما قال(مالفال **Malval**) :"بقي الإتفاق التركي- السنوسي أعرج"، وبدلاً من ذلك عقد "اتفاق جنتلمان" على أرض الواقع بين الأتراك والفرنسيين: كلاهما احتفظ "بحقوقه" ولكن كان عليه الإنتظار لإقرار النظام وضمان الأمن.

وكان موقف رفقي بك يختلف عن موقف سامي (أو جامي) بك والي فزان عام **1910**، فالأخير كان قد سمح لقافلة بالإقلاع من فزان في اتجاه بيلما، ومعه حرّاس من الجنود الأتراك النظاميين وعددهم خمسة وعشرون جندياً يقودهم الملازم عمر لطفي. وقد اكتشفت هذه القافلة يوم **23** مارس **1910** الكابتن Cottes رئيس دائرة (أغاديس)، وكانت تابعة للأراضي الفرنسية في (Yat)، حيث كان يختبئ فيها حوالي تسعة وخمسون من التبو (المهاريست) الذين كانوا ينوون الإغارة على (أير). وسرعان ما وقع الصدام بين الطرفين، وانتهى الأمر بالأتراك، الذين كانوا يريدون مواصلةالسير حتى بيلما، بأن يُطردوا إلى الحدود". وهكذا تبيّن أن سامي بك كان يختبئ مغيرين من التبو للإنقضاض على المنطقة الفرنسية.

اتفاق مؤقت بين رفقي ولارجو

وعلى العكس من ذلك تصرّف رفقي، فبمجرد وصوله كتب إلى (كولونا دي ليكا) معبّراً عن الرغبة في حسن الجوار، ومن ناحيته كتب إليه (لارجو) يدعوه إلى أن ينسّق مع السلطات الفرنسية لصيانة النظام وأمن القوافل، وبذلك تتمّ المحافظة عل الحقوق الفرنسية،

وأجابه رفقي بأنه سيعمل جهده لإيقاف الغارات. وقد لاحظ (لارجو) أن رفقي لا يملك نفوذاً البتة على عبد الله الطوير. ومن ناحية أخرى طلب رفقي معونة الفرنسيين لإقرار الأمن والنظام في بوركو، وكتب لارجو إليه في 12 يناير**1912** بأن فرنسا تقف على الحياد في النزاع الإيطالي ـ التركي، كما اشتكى من استمرار الغارات من قبل أهالي بوركو. وكان من نتائج هذا الإتفاق المؤقت بين القائدين العسكريين أن استتبّ نوع من الهدوء استطاعت القوافل بفضله أن تتاجر فيما بين كانم وجوراب وبين (ألقوى). كما اتضح أن (لارجو) بعد الإستيلاء على بوركو كان ينوي إستخدام الأتراك (الذين تخلوا عن ليبيا للإيطاليين) ضد السنوسيّين، ففي خطابه الذي وجّهه من (وانيانجا الكبير) إلى السيد أحمد الشريف بتاريخ ٣١ ديسمبر ١٩١٣ كتب لارجو يقول: " إن العثمانيين أصدقاء فرنسا لأكثر من ربع قرن، قد جاءوا إلى بلاد الشمال (يقصد شمال تشاد) لإقرار السلام بينكم وبيننا.."

وكما سبقت الإشارة فإن عبد الله الطوير إستقبل رفقي بك وجنوده استقبالاً سيّئاً ومنعه من نصب خيامه في Yen. ورفض إعلان الطاعة للأستانة، كما أبلغ الأتراك أنهم إذا أرادوا تسليم كانم للفرنسيين فهذا شأنهم، أما **بوركو** فإنه سيظل السيّد فيها.

وقد اختلف العسكريون والمؤرّخون الفرنسيّون حول شخصيّة عبد الله الطوير الزويّ،(ففيراندي) إعتبره عسكرياً قديراً وأطرى ثقافته وذكاءه وحيويّته. وعلى العكس من ذلك فقد ذمّه (لارجو) ذمّاً شديداً لأنه لم يغفر له ما فعله في واقعة (واشينكالي) في ١٧ نوفمبر ١٩٠٩، إذ ادّعى بأنه سحق مجموعة من (المهاريست) عن بكرة أبيهم، وذبح الأطفال والنساء. وقد كرّر (لارجو)هذه الإتهامات في خطابه إلى السيد أحمد الشريف بتاريخ ٣١ ديسمبر١٩١٣ حين قال له بالحرف :"إن عبد الله الطوير بقر بطون النساء، ورمى بالجرحى في النار، وخرّب الأرض وهشّم جماجم الأطفال الصغار!".

وقد أستشهد عبد الله الطوير، ذلك المكافح الصنديد ضد الغزو الفرنسي، في معركة (أم العدم) في (واو) يوم ٢٣ مايو ١٩١٣. وكانت معركة فاصلة خاضها ببسالة ضد الرائد **(Dufour)**. وحلّ محلّه في قيادة عين جالاكا محمد أبو عريضه.

أما رفقي بك فبعد أن أدرك الحرب الإيطالية التركية في ليبيا، وشاهد تفتت السلطة التي أنشأها في بوركو رحل إلى البحر الأبيض المتوسط في شهر مارس ١٩١٢ وكتب إلى (كولونا دي ليكا) يعلمه بالرحيل. وقد ذكر إتّوري روسّي **Ettore Rossi**، **في مجلة Oriente Moderno** في أبريل ١٩٢٩، أن رفقي عاد إلى تركيا بعد عقد معاهدة السلام (يقصد إتفاقية لوزان)، وترك أرشيفه للإيطاليين، الذين استفادوا من المراسلات المتبادلة

فيه بينه وبين (لارجو) لتثبيت حقوق االأتراك في شمال تشاد، و بالتالي تدعيم وتبرير مطالبهم (أي الإيطاليين) حول حدود ليبيا التي غزوها

أدوات السنوسيين

أطلق هذه الصفة على الأتراك "بيرنارد لان" مؤلف كتاب "تشاد وليبيا"، مبرهنا على قوّة النفوذ السنوسي وتأثيره[٤] إذ يحدّثنا أنه بعد رحيل رفقي لم يبق في بوركو من الوجود التركي سوى ملازم عجوز إسمه (محمد البي)، وهو قائمقام أصله من الكفرة شديد الإرتباط بالسنوسيّة، وصفه(فيراندي) بأنه "شخص صلب لدرجة الفظاظة ". وأغلب الظن أنه كان الكيلاني الأطيوش حسب ترجيح (فراندي) [٥]. وفي الواقع لقد حاول رفقي أن يتصرّف باستقلاليّة عن السنوسية، لولا الاعتراضات التي أبداها محمد البي، وهو بالرّغم من رتبته العسكرية الفائقة، فقد كان خاضعاً لنفوذ هذا القائمقام السنوسي الصميم. وحين قام الملازم الفرنسي **Detchbarne** بالتوغّل حتى واحة فايا، قابله هناك بودّ الملازم محمد البي الذي وصل من عين جالاكا يوم ٢٥ يوليو ١٩١٢، لكن عبد الله الطوير رفض التحدّث معه عندما أراد أن يشرح ضرورة احترام اتفاق الأمر الواقع الذي عُقد مع رفقي بك، ومن ثمّ إيقاف الهجمات السنوسية. وبعد أن عقدت اتفاقية (لوزان) في ١٨ أكتوبر ١٩١٢، والتي وضعت نهاية للحرب التركية الإيطالية، تخلى الأتراك عن طرابلس الغرب كما هو معروف. و في ١٠ أكتوبر١٩١٢ أعلن قائمقام عين جالاكا (التركي) (ويقصد به الأطيوش) الحماية التركيّة على العنيدي، وتمركز فصيل عثماني في (أم شالوبا). وكان هدف السنوسيّين من ذلك مراقبة طرق القوافل من الكفرة إلى أباشه وإلى دارفور وسيوه.

ويبدو أن الأتراك مستفيدين من رسالة وضعها في القاهرة **Bonnel De Meziere**المكلّف بمهمّة ضابط إتصال لطلبة واداي في جامعة الأزهر[٦] أرسلها إلى الكفرة، ورسم فيها حداً فاصلاً موازيا لبلدة عرادة بين المنطقة السنوسيّة في الشمال والمنطقة الفرنسية في الجنوب. (ويقول الكاتب أن هذه الرسالة ليس لها بالطبع أية قيمة دبلوماسية!). وفي ٤ نوفمبر إحتج قائد دائرة الواداي Jannot لدى القائمقام ضد النوايا التركية، مؤكداً حقوق فرنسا على هضبة العنيدي، ولكن هذا أجابه بأنه سيحيل

---

٤ مرجع سابق ت ص ٥٢-٥٣

٥ أخطأ المؤلف الفرنسي في أكثر من مرة حيث اعتبره تركياً. بينما كان هو شيخ قبيلة المغاربة الشهيرة في تاريخ الجهاد الليبي، ومحمد بي لقب كان يطلقه أهالي المنطقة على كلّ ضابط في صفّ الأتراك

٦ كان هذا عضواً قديماً في بعثة Maistre ١٨٩٢- ١٩٣ ورئيساً للفريق الذي رسم حدود غينيا الإستوائية الإسبانية في ١٩٠١

الأمر إلى حكومته [٧]. وفي نفس شهر نوفمبر إلتقى الملازم (الرائد)**Dufour** رئيس كتيبة المهاريست في (عراده)، الملازم محمد بي عند ناحية الوطية ومعه بعض الجنود في حالة يرثى لها من الفقر الشديد، فاشفق عليه وأعطاه كيساً من (الكسكسي) وبعضاً من السجائر والشاي والسكر، وأسرّ الملازم التركي (يعني الكيلاني الأطيوش) لدوفور بأنه ينوي مهاجمة بلدة(باكي) - جنوب غرب فادا - ويقيم فيها قاعدة. وعلى كلّ قافلة تمرّ عليها دفع (تالير) -عملة ألمانيّة- عن كل جمل. وعبثاً حاول دوقور إقناعه بأن تركيا تخلت عن طرابلس الغرب، لأن الملازم التركي في رأي (فيراندي) كان يؤكد "بأن الجيوش التركيّة - حسب مصادره الأمنية- تغمرها أفراح النصر". و بعد أن أُنذرت الحامية التركية بضرورة إخلاء الموقع وجاءت التعليمات من باريس بذلك، قام دوفور يوم ١٢ مارس ١٩١٣ ومعه تسعون من القناصة بالتهديد باستعمال القوّة ، فما كان من الحامية التركية إلا إخلاء (باكي) يوم ١٤ مارس، وعندما أراد دوفور بلوغ برداية أغتيل في أحد أطراف بوركو.
وبعد الجلاء وجد الفرنسيون رسالة من قائمقام (جالاكا) عليها أوامر مكتوبة كملاحظة هامشيّة من عبد الله الطوير، ممّا يدل على أن الأتراك لم يكونوا أكثر من أداة في أيدي السنوسيين. وفي أثناء معركة (أم العدم) يوم ٢٣ مايو ١٩١٣ والتي سقط فيها عبد الله الطويرشهيداً كما أسلفنا، وجدت جثتان لاثنين من الجندرمة الأتراك (أو الزبطية) من بين المهاجمين لمعسكر درفور.

وفي رسالته إلى أحمد الشريف صوّر (لارجو) العمليّة الحربيّة التركية في العنيدي بلهجة متغطرسة، حين قال:"لقد سمح الأتراك لأنفسهم بأن ينجرّوا في وقت ما حتى (باكي) على طريق أبشته، ثم انسحبوا أمام طلائعنا. وها هي سلطتنا تترسّخ هناك." وما أن استولى طابور لارجو على عين جالاكا عنوة يوم ٢٧ نوفمبر ١٩١٣، حتى اختفى كلّ أثر للقائمقام (الأطيوش) والأتراك.

الوضع أثناء الغزو الإيطالي

منذ عام ١٩١١ بدأ الإحتلال الإيطالي لليبيا، إلاّ أن القوات الفرنسية رغم عدم قيامها بعمليات عسكرية كبيرة تذكر في مناطق تشاد الشماليّة- خاصة بعد إستشهاد عبد الله الطوير وجلاء المفارز التركية- إنتقل مسرح صراعها مع القوّات السنوسيّة الى الأقاليم الثلاثة وهي : بوركو - العنيدي - تبستي، ويمكن تصوير هذه المواجهة المباشرة والنهائيّة بين السنوسيّين والفرنسيّين في غيبة الأتراك كما يلي:

---

٧ علق المؤلف الفرنسي بأن هذا يُعدّ تجاهلا لانسحاب تركيا من ليبيا

- في بوركو والعنيدي : قاد الضباط **Tilho** و **Dufour** و **Larfeau** إعتبارا من ٣ سبتمبر ١٩١٣ ثلاث مفارز إندفعت من كانم وواداي وفورت لامي (أي أنجامينا الآن)، والتحمت يوم ٢٧ نوفمبر من نفس السنة في عين جالاكا في معركة حامية الوطيس مع القوات السنوسيّة، التي كانت متحصّنة بالزاوية السنوسيّة هناك، حسب المؤرّخين الفرنسيين، مما يدلّ على أن المجاهدين السنوسيين استردّوها من الغزاة الفرنسيين بعد احتلالها الأول كما أوردنا. وقد تمكنت القوّات الفرنسيّة من إحتلالها مجدّدا، مخلفة وراءها واحدا وثلاثين قتيلاً [من بينهم الضباط **Barrier Fontaine** و**Maignan** و **Lagrion**].
- في ٣ ديسمبر جلا السنوسيّون عن فايا فاحتلّها الفرنسيّون. وفي ١٤ ديسمبر إحتل الفرنسيّون (قورو). أمّا محمد السني فقد استطاع النجاة، ولكن ألقي القبض على عائلته. و في ٢٤ ديسمبر سقطت أونيانجا الكبيرة في أيديهم، ثم تحوّل (لارجو) عقب ذلك صوب العنيدي، ثم الواداي. وفي ١٠ فبراير ١٩١٤ وصل إلى (عراده). وهكذا أخلى السنوسيّون بوركو والعنيدي تماماً، عائدين إلى الكفرة. أمّا الفرنسيّون فأقاموا قواعدهم في فايا ـ عين جالاكا ـ قورو ـ فادا وأونيانجا.
- في تبستي. جاء الإحتلال من قبل القوات الفرنسية التي كانت معسكرة في بيلما من أعمال الأراضي العسكرية في النيجر، إذ بدأ القائد **Loefler** يوم ١٠ ديسمبر ١٩١٣ باحتلال (زوار). وفي ٢٥ ديسمبر قبض على المجاهد خليفة قويطين رئيس (زوار)، وأرسل إلى فايا ليجبر على الإستسلام. وفي ١٥ فبراير ١٩١٤ قتل السرجنت الفرنسي **Gouaillard** وخمسة من القناصين في معركة **Labague** بالقرب من زوار، ثم قام (لوفلير) بهجوم على الهضاب واستولى على برداي يوم ٢٣ يونيو١٩١٤. وعلى إثر ذلك هرب المجاهد (ديردي ماي ـ شفامي)، وواصل لوفلير زحفه حتى أوزو التي وصلها في ٩ يوليو١٩١٤. وفي ٣٠ يوليو تحقق ربط بوركو بتبستي. وفي أكتوبر تمّ تفكيك مفرزة لوفلير. أما (تيلو) الذي كان معسكراً في فايا فإنه فُقدعام ١٩١٥، ربّما نتيجة البركان الهائل الذي انفجر في (أمّي كوسّي). وفي ١٩١٦ ساء وضع القوات الفرنسية لأن الإيطاليين جلوا عن فزان في ١٩١٥، ولجأوا إلى الساحل.

ومن الكفرة أعاد السنوسيّون تشكيل كتائب جهاد معادية للفرنسيين، ومن خلال تحرّكها عبر فزان استطاعوا بها كسب طوارق الأير والهوجار إلى جانبهم في الكفاح. ولم يتم إستعمال السلاح، لا في تبستي ولا في بوركو، لأن قائد قاعدة (برداي) الفرنسي الملازم أول Lenoir الذي استولى عليه الذّعر أخلى موقعه يوم ٢١ يوليو ١٩١٦، ولجأ إلى زوار، ومنها واصل رحلة الجلاء إلى فايا. إلا أن السنوسيين لم يتوغلوا في تبستي. وقامت قوّات بيلما الفرنسية باستعادة موقعها في زوار.[٨] إلا أن السلطات الفرنسيّة التي كانت

٨ إنسحاب لينوار نتيجة الذّعر أعتبر جبنا أثناء الحرب، ولذا مثل أمام تحقيق عسكري

حديثة العهد في احتلال تشاد، معروف عنها ظاهرة الخوف؛ ففي ٢٩ مايو ١٩١٥ إقترح **Gaston Doumergue** وزير المستعمرات الفرنسي إخلاء المواقع في (قورو) و(وانيانجا)، لأنها معزولة ومعرّضة لأن تكون تحت رحمة هجوم سنوسي مباغت. غير أن **Aristide Brian** وزير الخارجية ورئيس الحكومة أجاب على ذلك يوم ٣٠ مايو مطالبا بالمحافظة على موقع (قورو)، بالنظر إلى المفاوضات التي كانت ستبدأ من أجل السلم مع إيطاليا. أما (أونيانجا) فقد تم الجلاء عنها وانتقلت حاميتها إلى (أتي) في النيجر. وفي ١ ديسمبر ١٩٢٠ إستسلم (ديردي ماي شافامي) للعقيد روف **Rueff** في بيلما. وأخيرا وفي ١٩٢٩ تقرّر إعادة إحتلال تبستي، لأن الإيطاليين بدأوا يضعون أقدامهم في فزان. وقام بالعملية كل من**Comm Rottier** من بيلما و **Comm.Aubert** من فايا، اللذين نظّما إستعادة المواقع. وفي نوفمبر ١٩٢٩ ضُمّت فايا مع بوركو - عنيدي - تبستي تحت الحماية الفرنسيّة بموجب بلاغ رسمي. وبقيت القوات الفرنسية محتلة لتشاد وجوارها حتى عام ١٩٦٤ موعد إعلان الإستقلال.[٩]

ترتيب الأوضاع بين المستعمرين الفرنسي والإيطالي

حين أعلنت الحرب العظمى في أغسطس ١٩١٤، قرّرت إيطاليا أن تبقى على الحياد، مع أن الرأي العام الإيطالي كان مؤيداً (للحلف) ومعاديا لألمانيا، وخاصة للاتحاد النمساوي - المجري الذي كان يحتلّ أراضي تسكنها غالبيّة إيطالية. وهكذا تحوّلت المشاعر إلى قوّة ضاغطة عام ١٩١٥ جعلت وزير الخارجية الإيطالي (سونينو) يتفاوض مع الحكومات أعضاء (الوفاق الثلاثي) بغية دخول إيطاليا الحرب. وبناء عليه وقعت يوم ٢٦ أبريل ١٩١٥ في لندن إتفاقيّة سريّة مع فرنسا وبريطانيا وروسيا. وقد تضمّنت الإتفاقية شروطاً تكفل مصالح ترابيّة تُمنح لإيطاليا، مقابل مشاركتها في الحرب. فالمادة ١٣ منها تنص على ما يلي : " في حالة قيام فرنسا وبريطانيا العظمى بتوسيع رقعة ممتلكاتهما الإستعمارية على حساب ألمانيا، فإن هاتين القوتين تعترفان مبدأياً بجواز أن تطالب إيطاليا بشيئ من التعويضات العادلة، وخاصة في إطار ترتيبات لصالحها في المسائل المتعلقة بالحدود الاستعمارية الإيطالية في أريتريا والصومال وليبيا، وفي المستعمرات المجاورة لفرنسا ولبريطانيا".

ورغم أن هذه الفقرة لا تلزم فرنسا وبريطانيا بأية تنازلات لغموضها وعموميتها (حسب وجهة نظرهما) إلا أنها بالنسبة لإيطاليا كانت حجّة تاريخية تعللت بها لمدى عقدين من الزمان في المطالبة (بحقوق تعاهديّة) أثناء مناقشات حدودها في ليبيا مع الدولتين

٩ "تشاد وليبيا" م مرجع سابق ص٨٢- ٨٣

المجاورتين لها (أي حدود ليبيا مع كل من مصر وتونس والجزائر وتشاد). وكان من المفترض أن تبقى هذه المعاهدة سرّية إلا أن تصريح الرئيس الأمريكي ويلسون المشهور، أماط عنها اللثام. وهو التصريح الذي قدمه إلى الكونجرس الأمريكي والمتضمن للنقاط الأربع عشرة، وأهمّها شجبه للإستيلاء على الأراضي وإلحاقها بالقوة، وإعلانه لحق تقرير المصير وتحرير الأوطان.

واستغلت القوى الاستعمارية الإيطالية ـ مثل غيرها من القوى التوسعية النهمة ـ هذا النص وأعلنت أن مطالبها تطبيقاً له تستهدف :

ـ الإنتشار الإيطالي في شرقي البحر المتوسط.
ـ توسيع رقعة الحدود الليبية.
ـ التغلغل داخل أفريقيا الشرقية بجوار أثيوبيا وجيبوتي والصومال.

واستمرّت ايطاليا تتشبث بهذه المطامع حتى عام ١٩٤٠ أيّ قبل هزيمتها في الحرب العالميّة الثانية.

ولعل أهمّ ما توصّلت إليه خلال محاولاتها وضغوطها طيلة هذه المدة:

أولاً : إتفاقها بتاريخ ١٢ سبتمبر ١٩١٩ مع فرنسا وبريطانيا حول تقاسم مناطق النفوذ في أثيوبيا والصومال وليبيا. وقد أسفر بالنسبة لليبيا على تبادل رسائل تفاهم تبودلت في باريس في نفس التاريخ، بين **Pichon** وزير خارجية فرنسا و **Bonin** سفير إيطاليا في العاصمة الفرنسية، وتضمّنت (التخلي) ـ حسب تعبير المؤلف الفرنسي ـ لليبيا على (البركات) و(تيهوت) ومنطقة (طرق القوافل) من غدامس إلى غات وإلى توقو، أي أن هذين التنوئين ابتلعا الحدود" وجعل ليبيا تكسب ٢٣٣٠٠٠ كم". وبما أن هذا الاتفاق عدّل الحدود المرسومة بموجب إتفاقية ١٨٩٩ بين ليبيا من ناحية والجزائر والنيجير من ناحية أخرى، دون أن تمسّ حدود تشاد التي تبدأ شرقي (توقو)، فقد قام **(Tittoni)** وزير الخارجية الإيطالي في تلك السنة بعرض المسألة على البرلمان يوم ٢٧ سبتمبر حيث أعلن: أن مسألة تبيستي والبوركو ـ أو أية تعويضات ترابيّة أخرى ـ تُركت مفتوحة وموضوعاً لمفاوضات لاحقة". ولم تخف الأهميّة المادية لهذه المنطقة الواسعة، فقد ذُكر بأن " البوركو والعنيدي وتيبستي رغم أنها أقاليم قاحلة وقيمتها الزراعية ضئيلة، إلا أنها ربّما تختزن في باطنها بعض الثروات المعدنية".[١٠]

١٠ حسب اطلاعنا على مجمل ما كتب على الموضوع، فإن هذا يعتبر أوّل تصريح رسمي عما قيل كثيرا بعد نذ من شائعات حول ما تختزنه تبستي من موارد نفطية ومعادن الأورانيوم، وخاصة في منطقة

ثانيا: معاهدة روما في ٧ يناير ١٩٣٥ والتي وقعها كلّ من لافال **Laval** رئيس جمهورية فرنسا وموسوليني **Mussolini** رئيس الحكومة الإيطالية الفاشية. والجزء الأوّل منها تعرض في المادة (١) (للمسائل التوسعيّة) وهي المتعلقة "بوضع وحقوق الإيطاليّين والرعايا المعمّرين الإيطاليّين في تونس، والتونسيّين في إيطاليا، والتي ستُنظّم بموجب معاهدة خاصة". أما الجزء الثاني فهو يتعلق في المادة (٢) بالحدود بين ليبيا والمستعمرات الفرنسيّة المتاخمة والتي نصّت على أن: الحدود التي تفصل ليبيا عن أفريقيا الغربية الفرنسية وأفريقيا الإستوائية الفرنسية شرقي توقو في النقطة النهائية التي حدّدها الخط المرسوم بموجب اتفاقية باريس ١٢ سبتمبر ١٩١٩، سوف تُقرّر حسب الخطوط التالية: - وقد عيّنها بأسماء مواقع وبلدات ذُكرت في الإتفاق-.

ومع تصاعد الخُيلاء والغطرسة الفاشيّة، إزدادت مطالب إيطاليا للحصول على مزيد من المستعمرات حتى أن موسوليني في خطابه بتاريخ ٢٦ مارس ١٩٣٩ أفصح عن مطالبه في السّويس وجيبوتي وتونس! وردّ عليه **Daladier** رئيس الوزراء الفرنسي يوم ٢٩ مارس ١٩٣٩ (أي بعد ثلاثة أيام) مؤكداً الجشع الفرنسي من جهته قائلاً :" لن نتنازل عن شبر واحد من أراضينا ولا عن ذرّة واحدة من حقوقنا". [١١]

(أوزو) مسرح الصراع المشهور بين ليبيا القذافي وتشاد (الحديثة) والتي آلت ملكيّتها لتشاد، كما هو معروف.

١١ كتاب " تشاد وليبيا" – مرجع سابق ص٩٤ – ١٣٢.